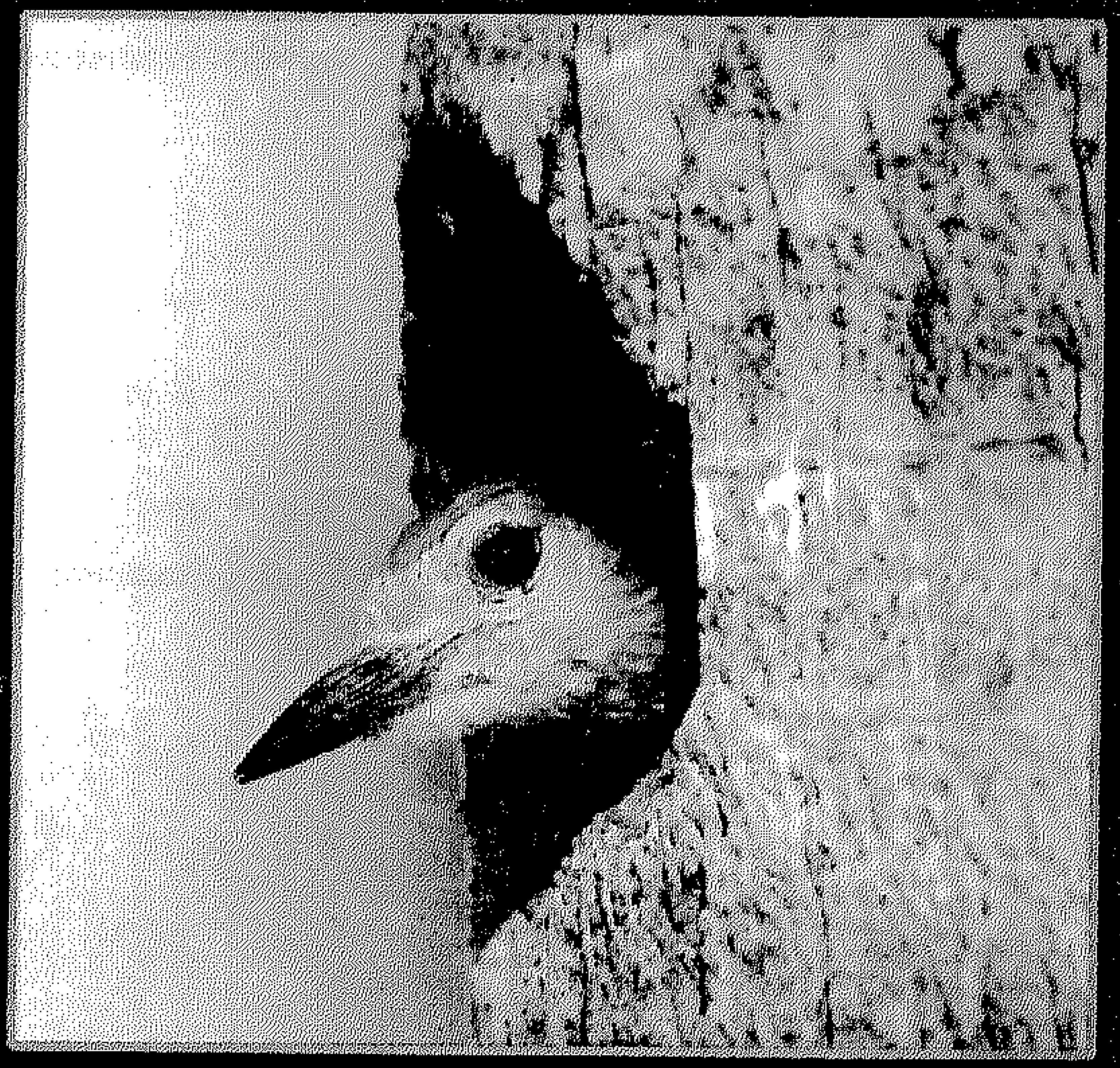
الأمان
و
اليقين
و
البهجة



ج . كوتن

الأمان

« الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولايأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة » (يو٥:٢٤)

و

اليقين

« كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكى تعلموا أن لكم حياة أبدية » (١يو٥:١٣)

و

البهجة

« أمامك شبع سرور. فى يمينك نعم إلى الأبد »
(مز١٦:١١)

إذا كنت فى غير أمان فلماذا لاتؤمن فتخلص؟

وإذا كنت مؤمناً فلماذا لاتتيقن من خلاصك؟

وإذا كنت مخلصاً ومتيقناً فلماذا لاتبتهج؟


كتب عربي
(إهداء)
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية
رقم التسجيل

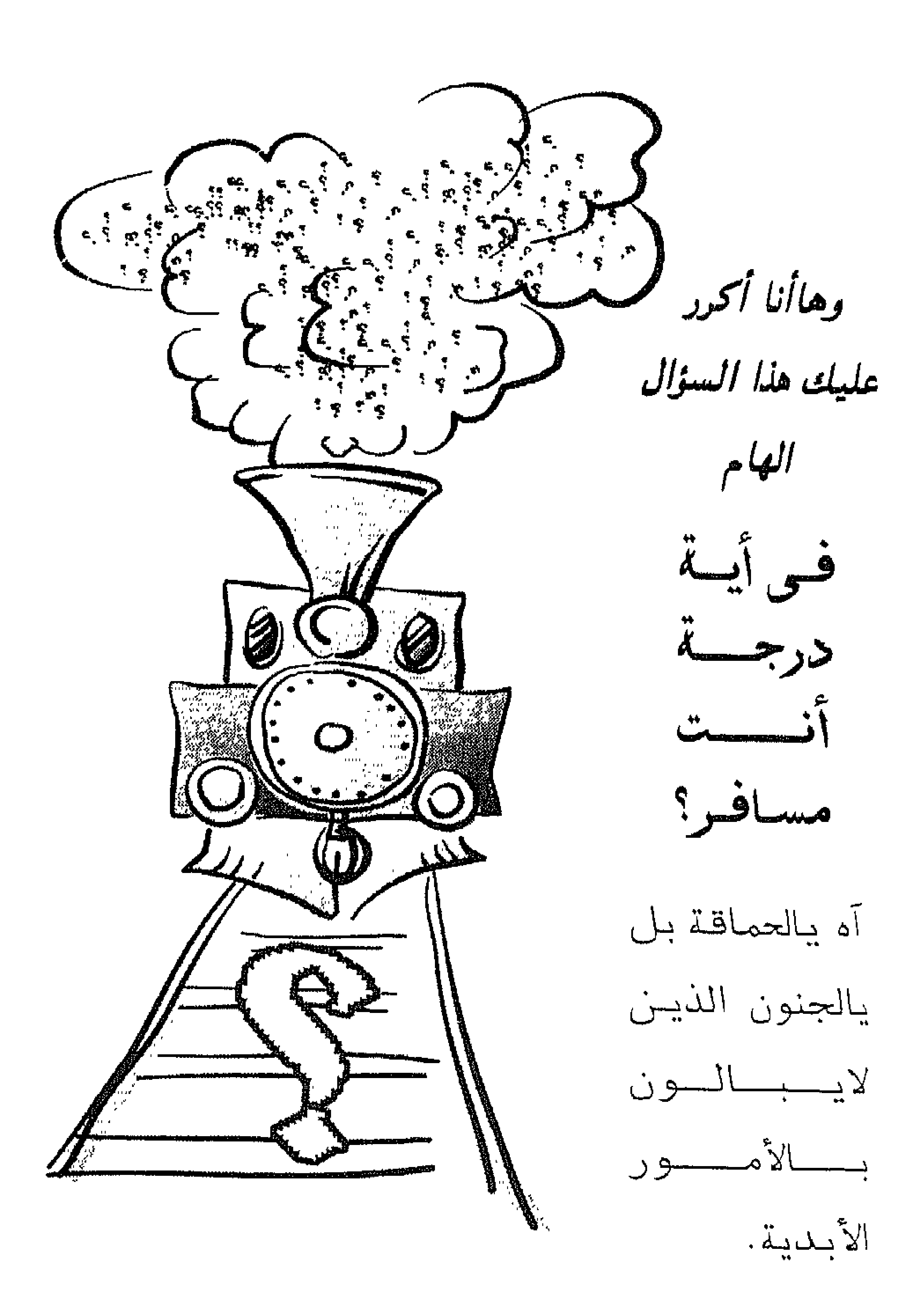
أيها القارئ العزيز : أنت بكل يقين مسافر من هذه الحياة إلى الأبدية. ومَنْ ذا الذى يدرى قربك إلى النهاية فى هذه اللحظة؟ لذلك أسألك بكل محبة : «**فى أى درجة أنت مسافر؟**»

لاتوجد إلا ثلاث درجات. وها أنا أصفها لك لكى يمكنك أن تمتحن نفسك فى حضرة ذاك الذى معه أمرك.

I **الدرجة الأولى**: الذين قد خلصوا وهم يعرفون ذلك.

II **الدرجة الثانية**: الذين ليسوا متيقنين من خلاصهم. لكنهم فى قلق ورغبة فى أن يخلصوا.

III **الدرجة الثالثة**: الذين هم غير مخلصين، ولا يُبالون بأمر خلاصهم بالكُلية.



وهاأنا أكرر عليك هذا السؤال الهام

فى أيـة درجــة أنـــت مسـافر؟

آه يالحماقة بل يالجنون الذيـن لايــبـالــون بـــالأمـــور الأبـديـة.

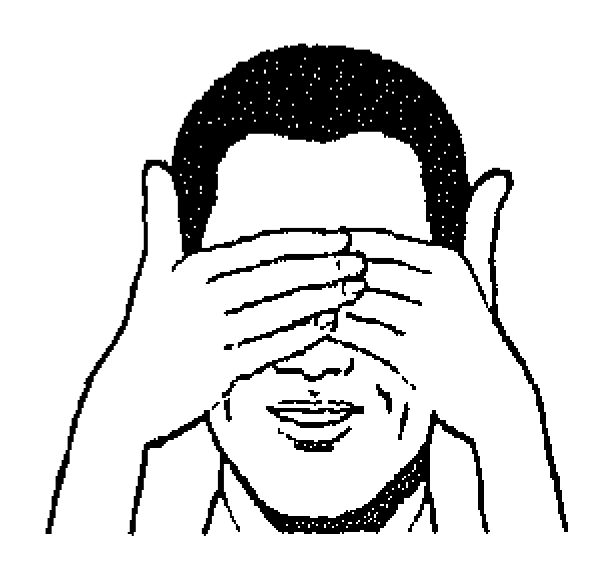
أربع ساعات أم الأبدية

من عهد قريب جاء رجل هندى إلى إحدى محطات السكة الحديد راكضاً بأسرع مايمكن، ودخل إلى العربة فى لحظة قيام القطار وهو لايكاد يقدر أن يتنفس من شدة التعب. فقال له أحد المسافرين «حقاً إنك ركضت حسناً». فأجابه وهو يتنفس بكل مشقة «نعم؛ لكنى قد ربحت أربع ساعات وهى مدة تستحق الركض».

أما أنا فتأثرت كثيراً من كلامه هذا وأخذت أكرر لنفسى قوله «ربحت أربع ساعات». وقُلت حقاً إنه أجهد نفسه إجهاداً عظيماً لربح أربع ساعات. ولكن ***ماذا من جهة الأبدية***؟ وكم من ألوف من ذوى البصيرة والرأى الصائب فى هذا العالم، الذين يُحسنون إجهاد فكرهم فى تدبير أمور هذه الحياة، لكنهم فى جهل تام من جهة الأبدية التى أمامهم. فإنه رغماً عن محبة الله غير المحدودة نحو الخطاة الهالكين التى قدأظهرها فى صليب الجلجثة، ورغماً عن بغضته المُعلنة ضد الخطية، ورغماً عن التأكد من قصر حياة الإنسان هنا على الأرض، ورغماً عن أهوال الدينونة المُريعة بعد الموت، ورغماً عن الحسرة

التى لاتُطاق على مافات بعد الدخول إلى العذاب الأبدى فى بحيرة النار، رغماً عن هذه كلها نجد أن البشر مُسرعون ركضاً إلى تلك النهاية المُرّة جداً جداً، وهم غير مُبالين البتة، كأن الله ليس بموجود، وكأنه لا موت ولا دينونة ولا سماء ولا جهنم.

إن كانت هذه حالتك أيها القارئ العزيز، فليت الله يرحمك الآن ويتحنن عليك، وبينما أنت تقرأ هذه الأسطر يمنحك بصيرة لترى الحال الخطير الذى أنت فيه، وأنك واقف على حافة مزالق الويل الأبدى.



ياصديقى العزيز.. إن صدّقت ذلك أو لم تصدقه، فإن حالتك شقية جداً؛ فأطلب إليك أن لاتتغاضى وتتعامى عن الأبدية. واعلم يقيناً أن الذى يخدعك بالتأجيل والتسويف ليس هو لصاً فقط بل هو قاتل أيضاً. إنى أتضرع إليك أيها القارئ العزيز أن لاتسير بعد فى طريق التأجيل والتسويف لأنه :

هوذا الآن يوم خلاص

لست غير مبالٍ لكنني ...

ولكن ربما يقول أحد إنى لست متهاوناً بخلاص نفسى، ولكن حالتى يعبر عنها بكلمة أخرى وهى: عدم اليقين. فكأنى من الصف الثانى الذى ذكرته أو المسافرين فى الدرجة الثانية.

فاسمع أيها القارئ العزيز : إن التهاون وعدم اليقين ناتجان من ينبوع واحد وهو عدم الإيمان. فالتهاون ناشئ من عدم الإيمان أو عدم التصديق بكون *الإنسان خاطئاً هالكاً*، وعدم اليقين ناشئ من عدم الإيمان أو عدم التصديق *بالعلاج الإلهى الذى أعده الله للإنسان*.

لقد كُتبت هذه النبذة لإفادة النفوس التى ترغب صادقة أمام الله فى أن تكون متيقنة من خلاصها بالتمام وبدون أدنى ريب. نعم إنى أستطيع أن أفهم قلق نفسك العظيم، وإنى متأكد أنه كلما ازداد اهتمامك بهذا الأمر الخطير تعاظم ظمؤك وتعبك، *إلا إذا* عرفت *بكل يقين أنك نلت خلاصاً حقيقياً أبدياً* لأنه «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه».

فلو فرضنا أن لأب محب ابناً وحيداً مسافراً فى البحر،

ووصل له خبر بأن السفينة التى هو فيها انكسرت بالقرب من بلاد بعيدة، فمَنْ يقدر أن يصف قلق ذلك الأب واضطراب أفكاره قبل أن يتأكد من مصادر يوثق بها كل الثقة أن ابنه سالم؟ أو لو فرضنا أنك فى بلادغريبة، وأنت مسافر فى ليل مظلم ماطر وليس لك خبرة بطرق تلك البلاد ووصلت إلى مفرق الطرق، ووقفت محتاراً لاتدرى أى الطريقين يوصلك إلى البلد المقصود. ثم مرَّ بك شخص وسألته عن الطريق المقصود فأجابك : أظن أن هذا الطريق هو الطريق المطلوب، *واعتقد* أنك إذا سرت فيه ربما تصل إلى البلد المرغوب. فهل قوله «*أظن*» و «*اؤمل*» و «*ربما* » يزيح قلقك، وينزع انزعاج فكرك؟

لاريب أن أقوالاً كهذه لاتُريحك البتة إذ الأمر الوحيد الذى يريحك هو المعرفة عن يقين وإلا فكل خطوة تخطوها تزيد انزعاجك وقلق نفسك. فهل تتعجب إذاً أن أناساً لم يكونوا قادرين أن يتناولوا طعاماً أو يناموا عندما كانت قلوبهم منزعجة

من جهة نفوسهم وكأن خلاصهم الأبدي يتأرجح في قلوبهم؟

فاسمع أيها القارئ العزيز

فإني أبتغي بمعونة الروح القدس أن أوضح لك بكل بساطة ثلاثة أشياء، وهاأنا أذكرها لك باللفظ المعبر به عنها في الكتاب المقدس وهي :

طريق الخلاص (أعمال١٦: ٣١)

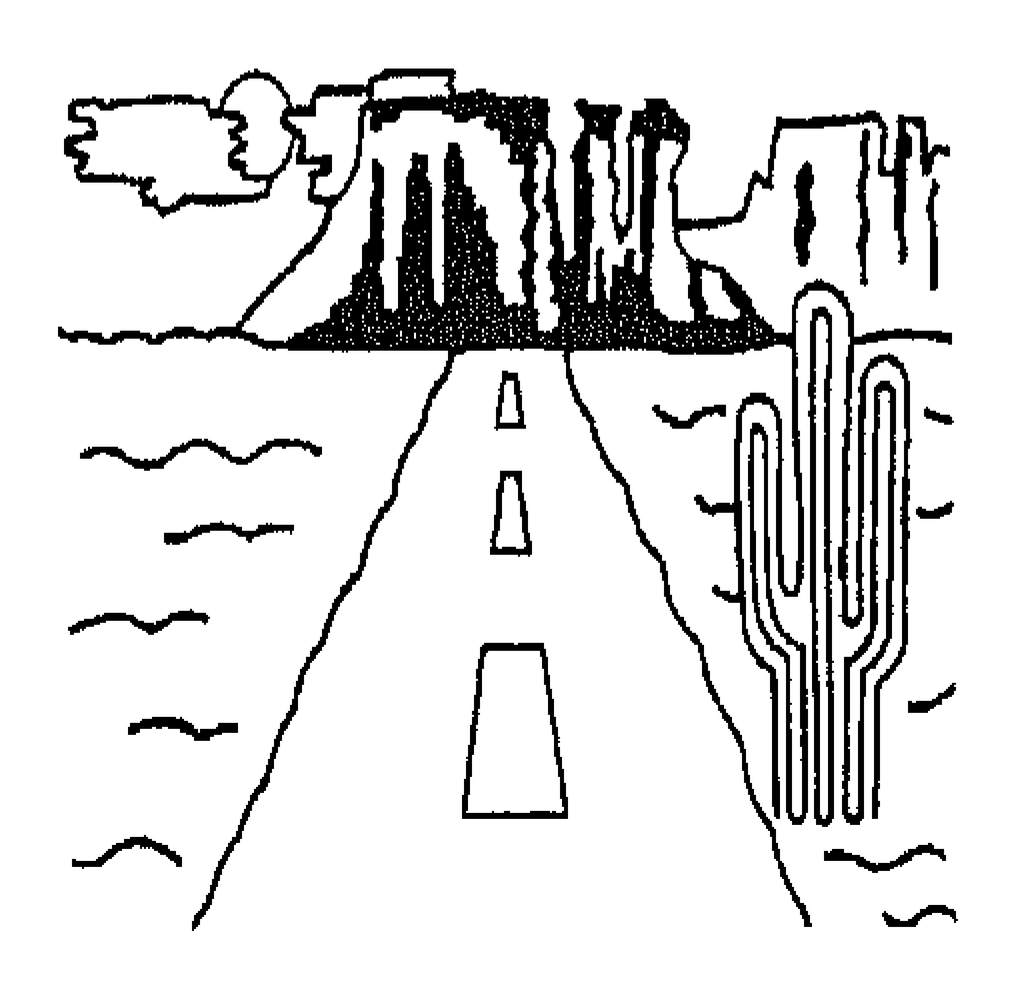
معرفة الخلاص (لوقا١: ٧٧)

بهجة الخلاص (مزمور٥١: ١٢)

وسوف نرى أنها وإن تكن مقترنة بعضها ببعض كل الاقتران لكنها متميزة ولكل منها أساس خاص، ولذلك قد يمكن لواحد أن يعرف طريق الخلاص بدون أن يكون له المعرفة الأكيدة بأنه هو خالص، كما قد يعرف واحد بأنه خالص بدون أن يكون له في كل الأوقات البهجة والسرور اللذان يجب أن يصدرا عن هذه المعرفة.

ولنتكلم أولاً بالاختصار عن :

طريق الخلاص



أرجو أن تفتح الكتاب المقدس، وتقرأ بإمعان العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث عشر من سفر الخروج. وهناك ترى هذه الكلمات الصادرة من الله :

« ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة وإن لم تفده فتكسر عنقه. وكل بكر إنسان من أولادك تفديه ».

فلنرجع معاً بأفكارنا مدة ثلاثة آلاف سنة ولنتصور منظراً كان يجرى حينئذ؛ رجلين أحدهما كاهن لله والآخر من عامة الشعب يتحدثان حديثاً له أهمية عظيمة عندهما. ولنفرض أننا بإذنهما وقفنا نصغى لِما جرى بينهما من الحديث الذى تدل حالتهما على عُظم أهميته وكان موضوع الحديث جحشاً صغيراً يرتعد بجانبهما.

فقال الشخص العادى: قد حضرت لأسألك إذا كان بالرحمة يمكننا العفو هذه المرة، فإن هذا الجحش المسكين بكر أتانى، وأنا أعلم جيداً مايقوله ناموس الله من جهته، لكنى أرجو الرحمة له وأن يعفى عن حياته؛ لأنى مسكين ويشق على جداً خسارة جحشى هذا.

فأجابه الكاهن بدون تردد : إن ناموس الرب واضح ليس فيه غموض أو إبهام «كل بكر حمار تفديه بشاة. وإن لم تفده فتكسر عنقه»؛ فأين الشاة؟

- آه ياسيدى لو كان عندى شاة..!

- إذهب إذاً واشترِ شاة وتعال إلىَّ، وإلا فيُكسر عنق الجحش. فإنه لابد من موت الشاة، وإلا فالجحش يُكسر عنقه لا مُحالة.

فأجاب المسكين إذ ذاك : واحسرتاه! قد خابت آمالى لأنى مسكين جداً وليس فى طاقة يدى أن أشترى شاة.

وبينما هما فى الحديث إذا شخص ثالث قد أقبل عليهما، وبعد سماعه خبر ذلك الرجل المسكين نظر إليه وقال له: ثق فإنى أسد احتياجك، لأنه فى بيتنا الذى تراه هنالك على قمة الجبل شاة محبوبة مُدللة بلا عيب ولا دنس لم تضل البتة، وهى

بكل حق محبوبة عند جميع مَنْ فى البيت، فأنا أحضر لك هذه الشاة. ثم أسرع صاعداً إلى البيت وما لبث أن عاد يقود شاته الجميلة إلى أن وصل إليهما، ووقفت الشاة بإزاء الجحش.

ثم رُبطت الشاة، وسُفك دمها وأُحرقت على المذبح. وعند ذلك نظر الكاهن التقى إلى المسكين وقال «*خُذ الآن بكر أتانك بسلام، لأنه لا يُكسر عنقه بعد أن ماتت الشاة عوضاً عنه فاشكر إذاً فضل صديقك*».

والآن أيها الإنسان المسكين المرتعد ألست تستطيع أن ترى فى ماقد ذُكر وصفاً إلهياً لطريقة خلاص الخاطئ؟ فإن عدالة الله بالنظر إلى خطاياك، تطلب كسر العنق، أى أن تقع دينونته العادلة على رأسك الأثيم. وليس من طريقة أخرى إلا موت فادٍ مُعيّن منه.

واعلم أيها القارئ العزيز أنك لاتقدر أنت البتة أن تجد مَنْ يسد احتياجك، ولكن الله قد سدّه بشخص ابنه الحبيب، إذ قدّمه **حَمَلاً بلا عيب**. قال يوحنا المعمدان لتلاميذه لما رأى ذلك

البار القدوس: «هوذا **حَمَل الله** الذى يرفع خطية العالم» (يوحنا١ : ٢٩). لقد تقدم إلى الجلجثة كشاة تُساق إلى الذبح، وعلى الصليب تألم مرة واحدة من أجل الخطايا. «البار من أجل الأثمة لكى يقرّبنا إلى الله» (١بطرس٣ :١٨)، «الذى أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رومية٤ : ٢٥). والله عندما يُبرر الخاطئ الشرير الذى يؤمن بالرب يسوع لا يُنقص شيئاً البتة من مطاليب عدله وحُكمه ضد الخطية (رومية٣ :٢٦). فالشكر والحمد له على هذا المخلص العجيب وعلى هذا الخلاص الكامل.

أتؤمن بابن الله ؟

ربما تجيب "إنى كخاطئ هالك قد وجدت الرب يسوع مخلصاً قديراً وأنا أؤمن به". إذاً أقول لك إن كل قيمة ذبيحته وموته ينظر إليها الله محسوبة لك، كما لو كنت قد أكملت أنت ذلك بنفسك.

حقاً ما أعجب طريق الخلاص هذه! وما أعظمها وما أجلها، لأنها إلهية تليق به، له المجد! وفيها يقترن سرور قلبه المُحب،

ومجد ابنه الحبيب، وخلاص الخاطئ المسكين. ويالها من نعمة ومجد! فمبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذى هكذا شاء أن ابنه الحبيب يكمل العمل كله، فله كل الحمد. وإننا نحن الخطاة الأثمة إذا آمنا به لاننال فقط كل البركة، بل نبتهج أيضاً إلى أبد الآبدين بالشركة مع مَنْ قد باركنا، تلك الشركة السعيدة. «عظموا الرب معى ولنُعلِ اسمه معاً» (مزمور٣٤: ٣).

أعلَم، ... ولكن

قد أسمع واحد يقول: أعلم أن الاتكال بالتمام على المسيح وعمله يكفى لأن يكون عندى اليقين الكامل بخلاصى مع أنه ليس لى ثقة البتة بنفسى ولا بعملى. ولكن مشكلتى أن إحساسى قد يُثبت قولى إنى خالص اليوم، لكنه يذهب بكل رجائى غداً، وهاأنا كسفينة تلاطمها الأمواج والعواصف وليس لها مرساة تُثبّتها وتحفظها.

ياصديقى .. ماأعظم غلطتك! هل

سمعت قط عن ربان سفينة يثبِّت سفينته بتمكين المرساة فيها من *الداخل*؟! كلا البتة لأنه دائما أبداً يمكّنها خارج السفينة.

ربما تكون موقناً كل الإيقان أنه ليس الخلاص ولا الأمان إلا بموت المسيح، ولكنك تحسب أن إحساسك يمنحك اليقين، فأطلب إليك أن تأخذ الكتاب المقدس لأنى أرغب أنك ترى بنفسك من كلمة الله كيف أن الله هو الذى يمنح الإنسان :

معرفة الخلاص

وقبل أن تقرأ العدد الذى أبتغى أن تقرأه بكل إمعان وتدقيق، والذى يعلمنا كيف يستطيع المؤمن أن يعلم أن له حياة أبدية، أقتبسه لك كما يحرّفه غالباً العقل البشرى المنحرف «وهبت هذه *الإحساسات* السعيدة إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكى تعلموا أن لكم حياة أبدية». والآن افتح

الكتاب المقدس؛ وليمنحك الله نعمة لتقول من كل قلبك مع داود بينما تُقابل ذلك مع كلمته المباركة الباقية إلى الأبد «المتقلبين أبغضت وشريعتك أحببت» (مزمور١١٩:١١٣).



وأما العدد المقروء بانحراف فهو ١ يوحنا ٥:١٣، وقراءته الصحيحة هي هكذا: «كتبت هذا اليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية».

قصة بيتين

كيف يا تُرى عَرِف ألوف الأبكار وتيقنوا أنهم في أمان ليلة الفصح؛ ليلة وقوع ضربات الله على مصر؟!

لنفرض أننا كنا هناك في تلك الأيام وذهبنا لزيارة بيتين في تلك الليلة وسمعنا ما دار بينهم من

الحديث..

فوجدنا فى البيت الأول الذى دخلناه أن أهله كانوا يرتعدون من الخوف واضطراب القلب.

وإذ ذاك سألناهم: *ماهو سبب هذا الإرتعاد والقلق؟*

وعند ذلك أجاب بكرهم: *أن ملاك الموت مُجتاز تلك الليلة فى أرض مصر لإهلاك الأبكار، وأنا فى قلق ولا أعلم كيف تكون الأحوال من جهتى فى ذلك الوقت الخطير. بعد أن يجتاز الملاك المُهلك بيتنا وتعبر ليلة القضاء هذه، حينئذ أعلم أنى فى أمان، ولن يمكننى أن أتيقن ذلك إلا بعد عبور القضاء. جيراننا الملاصقون يقولون إنهم متيقنون الخلاص أما نحن فنحسب ذلك إدعاءً ردياً ووقاحة منهم، وأما أنا فلست أستطيع شيئاً أكثر من أن أبقى ساهراً فى هذه الليلة المُريعة راجياً أن تمر بخير وإن كنت فى قلق شديد.*

فسألناه إذ ذاك: *ألم يُعِدِّ الله طريقاً لخلاص شعبه؟*

فأجاب: *نعم. ونحن أيضاً قد استعملنا هذه الواسطة للنجاة وهذا دم حمل ذكر ابن سنة بلا عيب ولا دنس وقد رششنا الدم فى*

· *الوقت المعين بباقة الزوفا على العتبة العُليا والقائمتين، ومع ذلك قلوبنا مرتعدة ولسنا متيقنين اليقين الكامل بالنجاة.*

ولنفرض أننا تركنا هؤلاء القوم المرتعدين ودخلنا بيت جيرانهم الملاصق، فأية مُباينة عظيمة تلوح لنا حال دخولنا ؟ فإن إمارات الفرح والسلام ظاهرة على وجه كل واحد منهم، وهم بأحقاء مشدودة وأحذيتهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم وكانوا يأكلون خروف الفصح.

ولما سألناهم: *ما سبب هذه السكينة وهدوء البال في تلك الليلة الخطيرة الهائلة؟*

أجابوا : *إننا منتظرون أمر الرب للخروج من أرض مصر، وعن قريب سنخلص من العبودية القاسية ومن ظلم مسخرينا.*

–ولكن هل نسيتم أن هذه الليلة هي ليلة دينونة الله على مصر؟

– كلا، إننا نعلم ذلك يقيناً ؛ ولكن بكرنا في أمان تام لأننا قد رششنا من الدم حسب أمر الهنا.

فأجبنا قائلين : *ولكن جيرانكم الملاصقين قد رشوا الدم أيضاً ومع ذلك فهم في قلق وانزعاج عظيمين لأنهم ليسوا موقنين أن بكرهم في أمان.*

فأجابنا بكر هؤلاء قائلاً : *أما نحن فعندنا لا الدم المرشوش فقط؛ بل أيضاً كلمة الله الثابتة الواضحة، فإنه قد قال* **«أرى الدم وأعبر عنكم»**، *إن قلب الله مسرور ومكتفٍ بالدم خارجاً ونحن مسرورون ومكتفون بكلمته.* *إن* **الدم المرشوش** يجعلنا في **أمـــان وكلمتــه التى نطق بها تعطينا اليقيــن.** *وهل يمكن أن يوجد شئ يجعلنا فى أمان أكثر مما يجعلنا الدم المرشوش؟ أو هل يوجد شئ يعطينا يقيناً أكثر مما تعطينا كلمة الله التى نطق بها؟ كلا وألف كلا.*

سؤال

والآن أيها القارئ العزيز اسمح لى أن أقدم لك هذا السؤال:

أى بيت من هذين البيتين كان فى أمان أكثر من الآخر؟

هل تظن أنه البيت الثانى حيث كان الكل فى سكينة ويقين؟ إن أجبت هكذا فأنت مُخطئ لأن كليهما على السواء كانا فى أمان كامل، لأن أمانهما متوقف على تقديره الله للدم خارجاً، وليس متوقفاً البتة على إحساسهم هم الذين كانوا داخلاً.

وإذا شئت أيها القارئ العزيز أن تتيقن خلاصك وأنك فى

أمان تام فاصغ ليس إلى شهادة إحساسك الداخلى المتقلب بل إلى شهادة كلمة الله الثابتة الصادقة.

«الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية» (يو٦: ٤٧)

هاك مثالاً بسيطاً يوضح لك هذه الحقيقة. لو فرضنا أن فلاحاً لم يكن عنده برسيم كافٍ لمواشيه قد سمع عن قطعة مرعى جميلة بالقرب من بيته معروضة للإيجار، فبعث رسالة إلى رب الأرض يطلب استئجارها، ولكن مضى وقت قبل أن يأتيه جواب. فحضر إليه يوماً ما أحد جيرانه وقال: "إنى متيقن أنك ستأخذ قطعة الأرض هذه. ألست تذكر أنه قد أرسل لك هدية فى العيد الماضى وأنه قد حيَّاك بلطف وهو مار من عهد قريب؟" ملأت هذه الكلمات قلب الفلاح فرحاً ورجاءً. ولكن فى اليوم التالى لاقاه جار آخر وفيما هما يتحادثان قال له: "لست أظن البتة أنك تستطيع الحصول على قطعة الأرض لأن فلاناً قد طلبها وأنت تعلم أن صاحب الأرض صديق حميم له وكثيراً مايزوره"، وهذه الكلمات ملأت الفلاح حزناً وهدمت

كل آماله. وهكذا كان فى أحوال متقلبة. فكان يوماً فى رجاء قوى وفى اليوم التالى امتلأ قلبه من الشكوك والحزن.

وبعد قليل وصل إليه خطاب، ففك ختمه وأخذ يقرأه بفرح؛ لأنه كان من صاحب الأرض. وفيما هو يقرأه كانت إمارات الفرح تلوح على وجهه وطردت كل شكوكه وأعاد تكرار قراءة الرسالة.

وعند ذلك قال لزوجته : قد تقرر الأمر الآن، وليس محل للشك أو الخوف؛ وها قد انقضى زمان قول الناس لى «ربما» و «عسى» و «إذا»، لأن صاحب الأرض قد كتب لى قائلاً أنه سمح لى بالأرض كل مدة احتياجى لها بإيجار زهيد جداً، وهذا كافٍ لتطمين قلبى ولست أبالى بعد بما يقوله هذا أو ذاك، لأن كلام صاحب الأرض *أثبت من كل أقوالهم.*

كم من النفوس فى حالة الاضطراب والقلق نظير هذا الفلاح، تلاطمها أمواج الخوف فى حيرة وانزعاج، بسبب آراء البشر وإحساسات قلوبهم التى هى أخدع من كل شئ، ولايمكن حصولها على اليقين إلا بواسطة كلمة الله. فعند قبول الكلمة ككلمة الله يزول الريب والشك، ويتمكن اليقين من القلب؛ لأنه إذا

تكلم الله ففى كلامه كل اليقين، سواء فى حكمه على غير المؤمن بالهلاك أو على المؤمن بالخلاص.

«يارب كلمتك مُثبتة فى السموات»

(مز١١٩: ٨٩)

والمؤمن ذو الإخلاص والبساطة يتيقن ويثق بكلمته لأنه :

«ليس الله إنساناً فيكذب. ولا ابن انسان فيندم. هل يقول ولايفعل أو يتكلم ولايفى»

(العدد٢٣: ١٩).

كيف أعرف؟

ولكن ربما تسأل قائلاً : كيف يمكننى أن أتأكد أن لى إيماناً حقيقياً؟ ليس لسؤالك هذا إلا جواب واحد وهو : هل لك ثقة بالشخص الحقيقى الذى هو ابن الله المبارك ؟ ليس المهم هو النظر إلى مقدار إيمانك بل النظر إلى استحقاق الشخص الذى آمنت به واتكلت عليه. فواحد يتمسك بالمسيح يسوع كتمسك الغريق بدفة السفينة، وآخر إنما يمس هدب ثوبه فقط. ولكن ليس الأول فى أمان أكثر من الثانى البتة بل كلاهما وجدا أنه

لا نفع البتة ولا ثقة بالإنسان، وأن الأمان هو بالاتكال على المسيح يسوع؛ ولذلك يثقان به ويصدقان كلمته بسكينة، ويرتاح قلباهما كل الراحة على قيمة عمله العظيم الذى أكمله على الصليب. هذا هو معنى الإيمان به.

«الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية»
(يو٦:٤٧)

فالحذر الحذر أيها القارئ العزيز من أن يكون اتكالك على إصلاح نفسك، أو على أعمالك الدينية، أو إحساساتك التقوية، أو على تربيتك الأدبية منذ طفوليتك، أو ما أشبه ذلك، لأنه ممكن أن يكون لك كل الثقة بأى شئ من هذه وماشاكلها؛ ومع ذلك تهلك إلى الأبد. فلا تخدع نفسك بمنظر حسن فى الجسد مهما كان. فإن أضعف إيمان بالمسيح يسوع يخلص إلى الأبد، بينما أقوى إيمان بأى شئ خلافه إنما هو ثمر القلب الخداع وماهو إلا حيلة العدو، وكشئ له منظر حسن يبسطه أمامك ساتراً به هوة الهلاك الأبدى التى يجتهد أن يطرحك فيها.

إن الله فى انجيله يضع أمامك الرب يسوع المسيح وحده ويقول لك «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُررت»، ويؤكد لك

أنك بكل أمنٍ تستطيع أن تثق فى محبته. أما إذا اتكلت على نفسك فلا اطمئنان لك البتة.

مبارك أنت أيها الرب يسوع من الآن وإلى الأبد. فمن هو الذى لايتكل عليك ويمجد اسمك العظيم؟

لا أستطيع أن أقول ذلك

قالت لى يوماً ما صبية حزينة «إنى أؤمن بالرب يسوع؛ ولكن إذا سألنى أحد إذا كنت قد خلصت لست أستطيع أن أقول نعم لئلا يكون قولى هذا كذباً» وكانت هذه الصبية إبنة جزار فى بلدة صغيرة، وحدث أن كان ذلك اليوم يوم سوق وأن أباها لم يَعُد من السوق بعد. فقُلت لها: لنفرض أنك تسألين أباكِ عند رجوعه كم خروفاً اشترى اليوم وهو يُجيبك «عشرة» وبعد قليل يدخل إنسان إلى الدكان ويسألك كم خروفاً اشترى أبوكِ اليوم؟ فتقولين له: لست أريد أن أقول لئلا يكون قولى كذباً.

وعند ذلك قالت أمها -التى كانت واقفة بجانبنا- بحدة: لكنكِ بذلك تجعلين أباكِ كاذباً.

ألست ترى أيها القارئ العزيز أن تلك الصبية بسذاجة قد جعلت المسيح كاذباً بقولها إني أؤمن بابن الله وبأنه قال إن لى حياة أبدية، لكنى لست أريد أن أقول أنها لى لئلا يكون قولى كذباً؟ فيالها من جسارة ووقاحة عظيمتين!

ولكن ربما يقول آخر: كيف يمكننى أن أتحقق أنى مؤمن؟ فإنى كثيراً مابذلت جهدى أن أومن، ونظرت إلى داخلى لأرى إن كان لى إيمان، ولكن كلما نظرت ضعف أملى بذلك.

الجواب: آه ياصديقى إنك ناظر ليس إلى الجهة الحقيقية لتحقيق ذلك. وكونك تبذل جهدك أن تؤمن يبين بكل وضوح أنك فى طريق الخطر.

بمن أؤمن؟

وهاك مثلاً آخر لإيضاح ما أبتغى بسطه لديك، لنفرض أنك بينما أنت جالس ذات مساء ترتاح فى بيتك وإذا انسان دخل عليك وأخبرك أن ناظر المحطة قد داسه القطار ومات.

ولنفرض أن ذلك الإنسان مشهور من زمان طويل بعدم الأمانة وبالكذب، فهل تصدق أو هل تميل أن تصدق ذلك الإنسان؟ طبعاً تقول لي : كلا البتة.

لماذا ياترى؟ تقول : لأني أعرفه المعرفة الأكيدة بأن كلامه لايوثق به لعدم صدقه. لكني أرجوك أن تُخبرني كيف تعلم أنك لاتصدقه؟ هل ذلك بنظرك إلى إحساساتك أو إلى مافي داخلك؟ كلا البتة. فإنك إنما تنظر إلى ذلك الشخص الذي سمعت منه الخبر.

ولنفرض أن جاراً دخل وقال لك أن ناظر المحطة قد داسه قطار بضاعة هذا المساء ومات حالاً. وبعد خروجه من عندك قُلت: إني الآن أصدق بعض التصديق لأن هذا الرجل لم يخدعني في كل حياته إلا مرة واحدة فقط مع إني أعرفه منذ صباه.

وهاأنا أسألك أيضاً : هل بنظرك إلى شعورك الآن تعرف بأنك تصدقه بعض التصديق؟ كلا. لأنك تنظر إلى صفات الذي أخبرك.

وما لبث هذا الرجل أن خرج من بيتك حتى دخل شخص ثالث وأخبرك هذا الخبر المُحزن عينه. وحينئذ قُلت إني الآن

أصدق هذا الخبر كل التصديق.

وها أنا أكرر عليك سؤالي الذى ليس هو إلا صدى سؤالك مرة أخرى. كيف تعرف أنك تصدق صديقك الأخير كل التصديق؟ تقول لأنى أعرف مَنْ هو؛ فإنه لم يكذب عليَّ البتة ولايمكن أنه يكذب عليَّ.

وأنا بهذه الطريقة نفسها أعرف أنى اؤمن بالإنجيل لأنى أنظر إلى الذى أخبرنى به «إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم لأن هذه هى شهادة الله التى قد شهد بها عن ابنه.

من لايصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التى قد شهد بها الله عن ابنه»

(١يو٥: ٩، ١٠)

«فآمن ابراهيم بالله فحُسب له براً»

(رو٤: ٣)

قال مرة رجل مضطرب الأفكار من جهة خلاص نفسه لمبشر: أواه ياسيدى، إنى لست أستطيع أن أومن. فأجابه المبشر بفطنة وهدوء : بمن ياصديقى لست تستطيع أن تؤمن؟ فأثر

ذلك فيه تأثيراً عظيماً وغيّر الأمور معه، لأنه كان ينظر إلى الإيمان كشئ مُبهم يجب أن يشعر به فى داخله قبل أن يتأكد أنه صار مستحقاً السماء؛ مع أن الإيمان ينظر دائماً إلى الخارج إلى المسيح الحى وإلى عمله الكامل ويصدّق بثقة وخضوع شهادة الله الصادق عن ابنه.

فاعلم يقيناً أن النظر إلى الخارج يجلب السلام إلى الداخل؛ فكل من يوجه نظره إلى الشمس يصير ظله وراءه. وكما أنه يستحيل عليه أن ينظر إلى الشمس وإلى ظله معاً هكذا أيضاً لايمكنك أن تنظر إلى نفسك وإلى الرب يسوع الممجد فى السماء فى وقت واحد.

لقد رأينا أن شخص ابن الله المبارك بنعمته يجعل ثقتى به هو وبعمله الكامل ويجعلنى فى أمان إلى الأبد، وكلمة الله عن المؤمنين به تعطينى اليقين الكامل.

إنى أجد فى المسيح وعمله طريق الخلاص، وفى كلمة الله معرفة الخلاص.

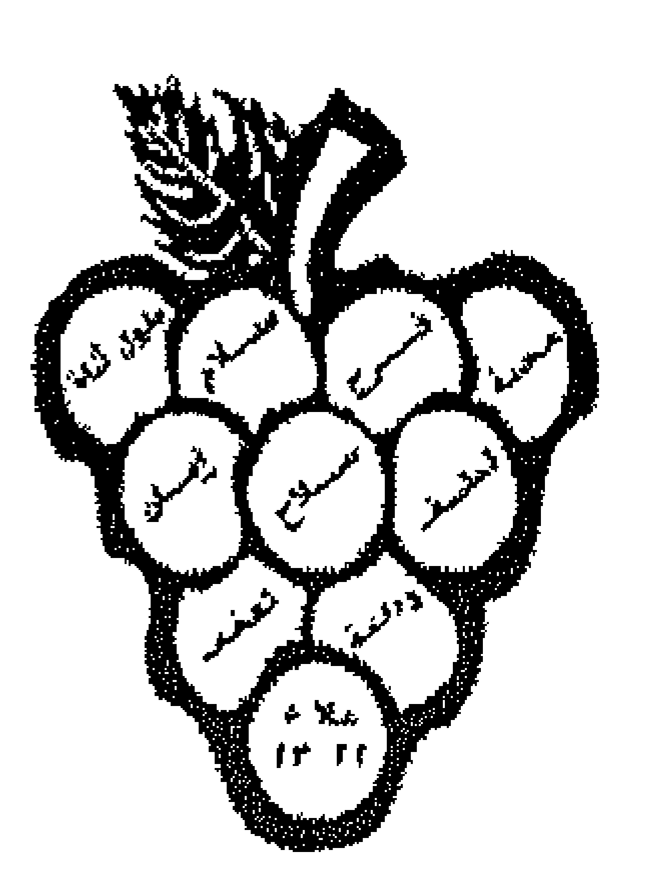
ولكن ربما تقول أيها القارئ العزيز : إذا كنت خالصاً فلماذا ليس لي اختبار ثابت لأني كثيراً ما أفقد كل أفراحي وتعزيتي وتنحني نفسي وأشعر بشقاء كما من قبل إيماني. هذا أيها العزيز يقتادنا إلى الأمر الثالث وهو :

بهجة الخلاص

لقد رأينا في تعليم الكتاب المقدس أنك قد نلت الخلاص بعمل المسيح، وتيقنت ذلك بكلمة الله وأنك محفوظ في التعزية والفرح بالروح القدس الساكن في قلب كل مؤمن.

ولكن لاننس أن كل واحد من المخلَّصين باقٍ فيه «الجسد»؛ أي الطبيعة الفاسدة التي قد ولد بها، والتي قد ظهرت فيه حتى لما كان طفلاً ضعيفاً في حضن أمه. فالروح القدس في المؤمنين يقاوم الجسد، لكنه يحزن من أية حركة كانت من حركاته، سواء أكانت بالفعل أو بالقول أو بالفكر أو بالشعور. فإذا كان المؤمن سالكاً كما

يحق للرب، فالروح القدس يُثمر فى نفسه أثماره المباركة وهى محبة فرح سلام.. الخ (غلا ٥: ٢٢). ولكن إذا سلك سلوكاً جسدياً عالمياً؛ يُحزن الروح وتُفقد منه هذه الأثمار كثيراً أو قليلاً.



قاعدة ثابتة

إليك هذه القاعدة الثابتة أيها المؤمن باسم ابن الله.

عمل المسيح وخلاصك يثبتان معاً أو يسقطان معاً

سلوكك وبهجتك يثبتان معاً أو يسقطان معاً

فإذا سقط **عمل المسيح** (*وحاشا أن يسقط، ونشكر الله على ذلك*) يسقط **خلاصك** معه.

وإذا سقط **سلوكك** (*فاحذر واسهر لأنه ليس بعيداً أن يسقط*) فتسقط **بهجتك** معه.

يُقال عن الكنيسة قديماً فى أع٩: ٣١ أنها «كانت تسير فى

خوف الرب وبتعزية الروح القدس»، وأيضاً فى أع١٣: ٥٢ «وأما التلاميذ فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس» . فالفرح الروحى يكون بالنسبة إلى حالة السلوك الروحى بعد أن يخلص الإنسان.

هل ترى غلطتك الآن؟ إنك لم تميز بين بهجتك وأمانك، مع أنهما متميزان عن بعضهما جداً. فعندما تُحزن الروح القدس بالشهوة أو الغضب أو السلوك العالمى تفقد بهجتك فتظن أنك فقدت أمانك. لكنى أكرر الأمر عليك لتقريره فى نفسك:

أن أمانك متوقف على ماعمل المسيح لأجلك.
ويقينك متوقف على كلمة الله لك.
وبهجتك متوقفة على عدم إحزانك الروح القدس الذى فيك.

فإذا عملت شيئاً وأحزنت روح الله القدوس، تفقد عملياً شركتك مع الآب ومع الابن إلى حين ولا تعود لك بهجة الشركة إلا إذا حكمت على نفسك واعترفت بخطيتك.

النسبة والشركة

قلو فرضنا أن ابنك أذنب وساء سلوكه، فإن ذلك يظهر على وجهه بعلامات واضحة، مع أنه قبل نصف ساعة كان يبتهج بتنزهه معك فى الحديقة، يفرح لما تفرح به ويعجبه مايعجبك أى أنه كان فى الشركة معك فكان قلبه وعواطفه موافقة لقلبك وعواطفك. وأما الآن فتغير كل ذلك، وصار بعصيانه وسوء سلوكه فى حال مُحزنة واقفاً فى زاوية البيت. وبعد تأنيبك له واعترافه بذنبه أكدت له بأنك قد سامحته ولكن من كبرياء قلبه وعدم انكسار إرادته تماماً يبقى فى مكانه يغص بالبكاء.

فأين الفرح الذى كان له قبل نصف ساعة؟ قد فُقد كله. ولماذا ياترى؟ لأن الشركة بينك وبينه قد انقطعت.

ولكن ماذا حدث للنسبة التى كانت بينك وبينه قبل نصف ساعة؟ هل فُقدت أيضاً؟ هل انقطعت أو تلاشت؟ كلا البتة. فإن نسبته

إليك متوقفة على ولادته، وأما شركته فمتوقفة على سلوكه.

وإذا جاء إليك بإرادة مكسورة وقلب منسحق واعترف لك بكل شئ من الأول إلى الآخر وتحققت انكساره وحزن قلبه على العصيان وسوء السلوك وبغضته لهما. فحينئذ تحمله على ذراعيك وتُقبله قُبلات المحبة وبذلك يتجدد فرحه لأن الشركة قد تجددت.

لما أخطأ داود وارتكب الأمر القبيح جداً ضد أوريا، لم يَقُل عند توبته «*رُدّ لى خلاصك*» بل «**رُدّ لى بهجة خلاصك**» (مز ٥١ : ١٢).

ولو فرضنا أنه عندما كان ابنك فى زاوية البيت فى حالة عدم الانكسار التام علا الصراخ بأن النار قد شبت فى البيت، فماذا تفعل بابنك حينئذ؟ هل تتركه فى الزاوية ليحترق بالنار باحتراق البيت؟ كلا البتة. فإن ذلك مستحيل. وربما يكون هو أول شخص تخطفه وتُخرجه من تحت طائلة النار فإنك تعرف يقيناً أن محبتك له لكونه ابنك هى شئ، وفرح الشركة هو شئ آخر.

فعندما يخطئ المؤمن تنقطع الشركة إلى حين، ويفقد الفرح إلى أن يأتى بقلب مكسور إلى الآب، ويعترف بخطيته، وحينئذ يتمسك بقوله ، ويتيقن أنه نال الغفران، لأن كلمة الله عن ذلك واضحة «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم» (١يو١ :٩).

فأطلب إليك أيها الأخ المؤمن أن تميز بين هذين الشيئين، وهما ***النسبة والشركة*** وتُبقيهما جلياً فى ذهنك، وأنه لاشئ أقوى من ارتباط النسبة. ولاشئ أضعف من ارتباط الشركة. فلو اجتمعت كل قوات ومكايد الأرض وجهنم، فلا تقدر أن تقطع النسبة أو تفك ارتباطها، ولكن أقل كلمة بطالة أو حركة ردية فى القلب تصد الشركة وتفك ارتباطها.

فإذا مرَّت عليك ساعة ضباب وأقلقك قلبك، فاتضع أمام الله، وافحص طرقك فى نوره، وعندما ترى الشئ الذى أعدمك الشركة وسلب منك البهجة كلص مستتر، فأيت به إلى نوره، واعترف بخطيتك أمام الله أبيك، واحكم على نفسك بدون إشفاق لأجل حالة التهاون وعدم السهر التى بسببها دخل ذلك اللص كأنه بدون معارض.

قضية حُسِمت

ولكن لاتخلط البتة بين خلاصك وفرحك، أي بين الأمان والبهجة. ولاتحسب البتة أن دينونته تقع على خطية المؤمن برفق بخلاف ماتقع على خطية غير المؤمن، لأن الله ليس له طريقان في حُكمه القضائي ضد الخطية. فلايمكن أن يرضى عن خطية المؤمن الذي عرف مقدار شناعة الخطية لديه تعالى في صليب ابنه، كما أنه لايقبل البتة أن يتغاضى عن طريق الشرير الذي قد رفض ابنه الحبيب. لكن يوجد بين الإثنين هذا الفرق العظيم؛ وهو أن الله قد وضع كل خطايا المؤمن على الحَمَل الذي قد هيأه للمحرقة لمّا رُفع على صليب الجلجثة، وأنه هناك قد فُتحت دعوى خطاياه العظيمة وسويت نهائياً وتسدد حسابها إلى الأبد، ووقعت دينونته على ذلك البديل المبارك الذي قام مقام المؤمن «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (١بط٢: ٢٤). وعليه قام المؤمن تائباً عازماً على أن يعيش لله دائماً. وأما رافض المسيح، فيجب أن يحمل بنفسه خطاياه في بحيرة النار الأبدية.

إذا سقط أحد المُخلَّصين، لايمكن أن تُفتح عليه دعوى جنايته لأن الله أى القاضى نفسه قد أنهاها مرة واحدة إنهاءً أبدياً على الصليب. ولكن مسألة الشركة تتأثر فى داخله بالروح القدس كلما أحزنه.

أيهما تغير؟

وفى الختام أقدم لك تمثيلاً آخر للإيضاح. لو فرضنا أنه فى ليلة مُقمرة وقف صديقان معاً عند مياه رائقة هادئة. كان القمر بدراً يُضئ ساطعاً فى كبد السماء فنظر أحدهما إلى قرص القمر المنعكس على سطح الماء وقال لصديقه ما أجمل البدر هذه الليلة وما أبهاه فى القبة الزرقاء! وإذا صديقه يرمى سراً بحصاة فى الماء، وعند ذلك قال الأول متعجباً : ماذا جرى للبدر يا تُرى فإنه قد تكسر تكسراً عظيماً، وقطعه تتلاطم بعضها ببعض تلاطماً هائلاً.

فأجاب رفيقه: لقد أخطأت خطأً عظيماً فانظر إلى فوق لترى أن القمر لم يصبه شئ وإنما التغيير الذى طرأ هو فى حالة

الماء الذى أنت ناظر إليه.

والآن أيها المؤمن خُذ هذا الأمر لنفسك؛ فإن قلبك هو مجرى الماء فعندما تقمع جسدك وتستعبده يأخذ الروح القدس مما للمسيح ويُخبرك، فيُعلن أمجاده وكرامته لك لتعزيتك وسرورك. ولكن حالما تعطى فرصة للجسد، ولو بحركة فى القلب أو بكلمة بطالة تخرج من فمك ولاتحكم عليها، فإن الروح القدس يحزن فى داخلك فتتموج المياه الرائقة، واختباراتك الحلوة تتكسر تكسراً عظيماً، وتفقد راحتك وسرورك الداخلى، وتبقى فى حالة التعب إلى أن تأتى إلى الله بقلب منسحق وتعترف له بخطيتك، الشئ الذى قد سبب كل هذا الاضطراب، وعندئذ تعود إلى فرح الشركة الحلوة والاختبار السعيد.

ولكن عندما يكون قلبك فى ذلك القلق العظيم، هل ياتُرى يتغير عمل المسيح؟ كلا البتة. فإذاً خلاصك لم يتغير ولم يطرأ عليه خطر.

وهل تغيرت كلمة الله؟ كلا البتة. فإذاً اليقين بخلاصك لايتغير ولاينقلب.

فما الذى قد تغير إذاً ؟ عمل الروح القدس فى داخلك قد تغيّر، وعوضاً عن أن يأخذ من أمجاد المسيح ويملأ قلبك شعوراً بفضله، فقد أحزنت الروح بإلزامك إياه أن يتحول عن تلك الخدمة العجيبة ليملأك شعوراً بخطيتك وعدم استحقاقك. فهو ينزع منك سرورك وفرحك إلى أن تتذلل وتحكم على الشر الذى فيك وتكرهه، كما يحكم عليه هو ويكرهه، وعند ذلك تتجدد شركتك مع الله وتتجدد بهجتها.

ليت الرب يمنحنا نعمة حتى نزداد سهراً وغيرة لئلا نُحزن روح الله القدوس الذى به خُتمنا ليوم الفداء (أف٤: ٣٠).

أخيراً

أيها القارئ العزيز،

مهما يكن إيمانك ضعيفاً فليثق قلبك بأن ذلك المخلص المبارك الذى بنعمته جعل فيك ثقة به لن يتغير أبداً.

«يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب١٣: ٨).

ولنثق معى فى هذه الثوابت:

إن العمل الذى قد أكمله لن يتغير البتة.

«قد عرفت أن كل مايعمله الله أنه يكون إلى الأبد. لاشئ يُزاد عليه ولاشئ ينقص منه»
(جا٣:١٤).

وكلمته التى تكلم بها لاتتغير أبدا

«العشب يبس وزهره سقط وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد»
(١بط١:٢٤، ٢٥).

إذاً فموضوع اتكالى وأساس خلاصى وركن يقينى. كلها أبدية لاتتغير.

حبى ضعيف غالباً يقوى سرورى ويقطع

لكن سلامى ثابت فى الرب لايتزعزع

إنى إناء متغير والرب لايتغير

فرجاء قلبى حبه وبصلب ربى أفخر

مرة أخرى

الآن أيها القارئ العزيز أكرر سؤالى مرة أخرى: فى أية درجة أنت مسافر ؟ وجه قلبك نحوه تعالى وقدم له جواب سؤالى.

«ومَنْ قَبِل شهادته فقد ختم أن الله صادق»

(يو٣ : ٣٣)

* * * *

وأنا أتضرع إلى الرب أن يتنازل بنعمته
ليجعل يقين هذا الخلاص العظيم من
نصيبك أيها القارئ العزيز الآن وإلى أن يأتى.

ج. كوتن

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٧ / ٢٤٩٠
الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 5060 - 43 - 5

ص.ب ٣٥ قصور الشوام - شبرا - رقم بريدى ١١٦٤٤

يناير ١٩٩٧

إن أمان الإنسان من جهة أبديته متوقف على قبوله لما عمل المسيح لأجله.

ويقينه فيما قد نال متوقف على إيمانه بما تقوله كلمة الله عن ذلك.

وبهجته بما قد وصل إليه متوقف على أن يحيا بما يوافق الروح القدس الساكن فيه.